انشغل بعضهن بفنها ومر قطار العمر

فنانات عرفن كأمهات على الشاشة.. وحرمن الأمومة في الحقيقة

أم كلثوم

أمينة رزق

تحية كاريوكا

سعاد حسني

سناء جميل

شادية

فردوس محمد قدمت نموذج الأم التي يمكن أن يجدها المشاهد إلى جواره في البيت

قدمت السينما المصرية العديد من الفنانات اللاتي فرضت عليهن أعمالهن دور الأم، والتي كان حرصها الدائم على أولادها، وقد استطاعت بعض الفنانات أن يحفرن أسمائهن في السينما المصرية بعد تاديتهم لدور الأم.

نرصد أشهر الفنانات المصريات اللاتي حرمن من نعمة الأمومة، فمنهن من انشغلت بفنها ومر قطار العمر دون أن تسمع كلمة «ماما» ومنهن من تزوجت في سن صغيرة لكنها لم ترزق بأبناء.

أم السينما المصرية

فردوس محمد التي ولدت في العام 1906 يتيمة الأبوين وتولت تربيتها أسرة تربطها علاقة قرابة بوالدتها، والتحقت بمدرسة إنكليزية بحي الحلمية، فتعلمت القراءة والكتابة والتدبير المنزلي، لكنها لم تكمل مشوار الدراسة، وتزوجت صغيرة السن ثم طلقت أيضا وهي صغيرة السن، ولم تنجب أبناء حتى بعد زواجها الثاني.

ولعبت دور "الأم" لكبار الفنانين ومنهم أم كلثوم، ويوسف وهبي، ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ وفاتن حمامة، ولبنى عبد العزيز، كما أيضا قدمت دور "المربية" لفنانين آخرين منهم ليلى مراد وماجدة.

واستمر مشوار الإبداع والأمومة حتى رحيلها في أواخر الخمسينيات عن عمر يقارب 55 عاما، بعد مشوار فني لافت حبسها المخرجون خلاله في هذا الدور لأكثر من سبب.

أولا: السبب الفني، حيث مثلت دور الأم ببراعة وبساطة في أن ربما بسبب يتمها، وافتقادها لدور الأم وهي طفلة صغيرة، ثم هناك السبب الاجتماعي: حيث تفاعل الجمهور مع أدائها بحيث صار يصنفها أما، ما أغرى المخرجين بإسناد دور الأم إليها.

كانت فردوس محمد تمثل نموذج الأم الشعبية أو الأم الريفية المحافظة الطيبة التي يمكن أن يجدها المشاهد إلى جواره في البيت، أو الشارع، سواءا في الأحياء الشعبية أو القرى، ومن هنا يمكننا أن نسمي أمومتها بـ "أمومة الترسو" أو الدرجة الثالثة، وهي بطولة بحد ذاتها أن يصدق الجمهور العربي كله أداءها في أفلام مثل "شباب امرأة" و"إحنا التلامذة" و"حكاية حب" و"عنترة بن شداد" و"صراع في الميناء" و"رد قلبي" و"سيدة القصر" وغيرها.

ولعبت أمومتها على الشاشة دورا في ترسيخ مفاهيم وقيم الأمومة في المجتمع المصري والعربي بأدوار باقية في الأذهان.

يشار إلى أن فردوس محمد لعبت دور الأم لسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة منذ كانت فاتن طفلة في أول أفلامها "يوم سعيد"، وتعددت الأدوار حتى فيلم "أرض الأحلام".

وبسبب تلك الرحلة الطويلة مع سيدة الشاشة، كتبت فاتن حمامة على قبر فردوس محمد هذه العبارة: "يا أمي يا فردوس، لقد كنت لنا جميعا أما و فردوسا، وسيجزيك الله بما لك من مآثر جنة الفردوس".

الأم الحزينة

ربما بسبب إتقانها لأدوارها على المسرح، وتعدد الشخصيات التي لعبتها، جاءت أمينة رزق الملقبة بـ "عذراء السينما المصرية"، بخلفية ثقافية عريضة لكنها بحسب موهبتها وخبراتها المسرحية التي تفاعلت معها الجماهير مباشرة في حفلات المسرح، فتعلمت أن الجمهور المصري يميل إلى التراجيديا والميلودراما، فصارت "دمعة أم" على الشاشة إن صح التعبير فنيا وإنسانيا.

ولعبت بفطرية ممزوجة بعبق الخبرة على المخزون النفسي للحزن لدى المصريين، فقدمت نماذج الأم المظلومة – ربما كنوع من الاحتجاج الصامت على واقع المرأة في مصر، وواقع الأمومة التي تعاني من كل المشكلات اجتماعية ونفسية وجسدية –، فصارت دموع أمينة رزق جواز سفرها إلى قلوب المصريين، أصحاب الدمع السريع من القلب والعين، وصار وجعها نموذجا للحزن النبيل والأمومة الطيبة ذات الشجن والهموم.

ساعدها على ذلك ملامح تجمع بين الرقة والشجن والجمال لتقدم نماذج متعددة من أدوار الأم، وإن كانت قد مثلت غالبا أمومة الطبقة الوسطى التي توسعت اجتماعيا في مصر بعد ثورة 1919 ثم ثورة 1952.

ونجحت رزق في غزل أدوارها بحزن شفاف، منحها التفرد في دور الأم الحزينة عن جدارة في أعمال مثل

فيلم "دعاء الكروان" الذي لعبت فيه دورا صعبا بكثير من الصمت والتعبير بالوجه عن مشاعر أم تفقد ابنتها بسبب الحب، وهو التعبير الصعب عن مواجهة تغير الزمن ومعرفة البنت البدوية لمشاعر الحب التي قتلت ابنتها هنادي، وتعرض ابنتها الثانية للخطر.

وكانت تعبيرات وجه أمينة رزق في هذا الدور من علامات الأداء السينمائي، كما لعبت أدوار الأم في "كلهم أولادي" و"التلميذة" وفي رائعة نجيب محفوظ "بداية ونهاية" و"عودي يا أمي" و"المجرم" و"بائعة الخبز".

أمينة رزق التي ظهرت لأول مرة على الشاشة في فيلم أولاد الذوات (1933)، بلغ رصيدها الفني 150 فيلما لعبت فيها دور الأم منذ كانت في الـ 35 من عمرها وهي سن مبكرة لأداء دور الأمومة، لكن ملامحها التي تجمع البساطة والشجن أغرت المخرجين باختيارها لهذا الدور دائما.

وبعيدا عن الشاشة وقريبا منها، صارت أمينة رزق في آخر أيامها أما للفنانين كما كان يلقبها الكثيرون منهم، بسبب رعايتها لهم أثناء التصوير وكان القدر الذي حرمها من الأمومة الطبيعية منحها أمومة واسعة الانتشار على الشاشة، وجعل دمعتها القريبة جسرا قويا بينها وبين المصريين وربما العرب جميعا، ثم منحها أمومة الوسط الفني كله بصورة لم تحظ بها فنانة قبلها ولا بعدها.

شادية "غنوة" الأمومة

رغم أن المطربة الكبيرة شادية التي نالت شهرتها بالأساس بالغناء الخفيف، وصورة المرأة الحديثة التي تعبر عن بنات الطبقة الوسطى، خاصة بعد ثورة يوليو 1952، ولم تختبر أمومة الواقع، فإنها نجحت بشكل لافت في تقديم دور الأم في أفلام قليلة جدا في فيلم يعد من علامات السينما المصرية هو فيلم "لا تسألني من أنا".

كما أن الدور نفسه رغم ميلودراميته البالغة، صار علامة على مشاعر الأمومة لدى المصريات، حيث لعبت شادية دورا مركبا لأم رضيت أن تعمل خادمة لابنتها، التي تنازلت عنها لسيدة ثرية لا تنجب، لتتمكن من الإنفاق على باقي أولادها، ونجحت بشكل لافت في تقديم الدور الذي لا يزال يحظى بمشاهدة عالية كلما أذاعته القنوات الفضائية.

ورغم أنها لم تنجب، فإن شادية – التي اعتزلت الفن والمجتمع منذ سنوات طويلة –، قدمت أدوار الأمومة باقتدار يعبر عن مقدرتها العالية كممثلة، ومقدرتها الإنسانية في تلخيص المشاعر الدقيقة كام لها من خبرات الأمومة الكثير.

كما قدمت دور الأم وهي بعد في سنوات الشباب الأولى في فيلم "المراة المجهولة" الذي غنت فيه أغنية شجية لا تنسى "سيد الحبايب يا ضنايا إنت".

ربما يقول النقاد إن التقمص هو دور الممثل وصميم عمله، لكن تقمص ممثل لأي دور ينعكس نفسيا عليه، ما قد يعرضه لأزمات الأمر الذي يجعل من قبول ممثلة لدور الأم وهي في الحقيقة لم تمارس هذا الدور في الواقع محفوفا بالمخاطر النفسية أو قد تسقط في المبالغة لتعويض نقص خبرتها الشخصية.

لكن شادية وقفت على الخيط الرفيع بين الاثنين: الفني والإنساني، فلم تبتعد عن شخصية الأم عندما قدمتها على الشاشة.

اللافت أن شادية بطبيعتها الفنية ربما كانت أقرب إلى أدوار أمهات الطبقة المرفهة – فهي مطربة أغنية الجملة البسيطة –، لكنها في أدوار الأم قدمت الشخصية المركبة العميقة فخالفت نفسها مرتين.

السندريلا حالة خاصة

تعمدت النجمة سعاد حسني الابتعاد عن دور الأم في زمن نجوميتها في سينما الأبيض والأسود، كما اعترفت.

وأرجعت السبب إلى أن والدتها تخلت عنها وهي صغيرة بناءً على اتفاق مع والدها عند انفصالهما.

ونتيجة لذلك، شعرت بالخوف من ألا تكون هي نفسها أما جيدة، فاختارت أن تحرم من الدور في الواقع، وتجنبته إلا نادرا على الشاشة، فلا يذكر لها الجمهور سوى دورها في فيلم "الراعي والنساء" كام تختبر مشاعر الحب مع ابنتها في نفس اللحظة والظروف، في زمن الألوان.

وللسينما أمهات كثر

منهن علوية جميل التي تزوجت محمود المليجي وتخصصت في دور الأم القاسية والشريرة أحيانا، وكانت من نماذج أمهات الشاشة فقط، فلم تنجب لكنها لم تجذب الجمهور كما فعلت زميلاتها من أمثال أمينة رزق وفردوس محمد، ربما بسبب تقديمها لدور الأم القاسية وهي الصورة التي لا يحبها المصريون في الأم النجمة.

كذلك تخصصت الفنانة زينب صدقي في أدوار الأم الأرستقراطية، فكانت بعيدة عن الغالبية العظمى من جمهور الشاشة، ولهذا ربما ابتعدت قليلا عن الذاكرة.

أما سناء جميل، التي اختارت العمل في الفن رغم قطيعة أهلها في الصعيد الذين كانوا يرون في الفن "عارا" على فتاة من أسرة محافظة، فقد اختارت الفن بديلا عن الأمومة، رغم براعتها في تقديم هذا الدور على الشاشة.

وربما يكفي دورها في آخر أفلامها "أضحك الصورة تطلع حلوة" في العام 1998 حينما قدمت دور الأم للراحل أحمد زكي ودور الجدة لمنى زكي، لتبقى أما في ذاكرة جمهور السينما المصرية.

أمينة رزق دمعتها القريبة جعلتها جسراً قوياً بينها وبين المصريين

كوكب الشرق أم كلثوم شغلها الفن لسنوات طويلة ولم تفكر في الزواج إلا عندما تجاوزت الخمسين، وأضاعت على نفسها فرصة الإنجاب، ورغم أنها لم تندم على ذلك لأنه كان لديها ما يعوضها إلا أن زواجها كان دليلا على أنها مثل أي امرأة كانت تسعى لتكوين أسرة.

ملكة جمال السينما المصرية ليلى فوزي تزوجت 3 مرات، ولم تنجب، فبعد وفاة الفنان أنور وجدي، تزوجت من الإعلامي جلال معوض، الذي اعتزلت الفن من أجله وتفرغت لحياتها الأسرية، ولكن لم يُقدر لها أن تنجب.

الفنانة تحية كاريوكا حطمت الرقم القياسي في الزواج السريع والكثير، فقد تزوجت 13 مرة ولم تنجب وحبها للرقص والفن كان هو المسيطر، ولكن كاريوكا صرحت أنها تبنت طفلة ومنحتها جزءا من ثروتها، ولكنها لم تصرح بذلك من خلال سيرتها الذاتية التي عرضت كمسلسل على التلفزيون.

الفنانة نبيلة عبيد ضحت بالأمومة من أجل الفن، وقالت في أكثر من لقاء تلفزيوني إن الشهرة والأضواء جذبتها وجعلتها تحرص على ألا تنجب خوفا أن تعطلها الأمومة، لكنها أكدت بعد ذلك أنها ندمت على قرارها.

الفنانة إلهام شاهين، لم تنجب أيضا رغم زواجها أكثر من مرة ودفعها حبها للفن إلى إجهاض نفسها مرتين متتاليتين، بجانب عدم رغبتها في تحمل مسؤولية طفل كما صرحت وعدم استقرارها في زيجاتها وانشغالها بالفن.

ليلى علوي أيضا جذبتها الأضواء والشهرة، وأقدمت على الزواج بعد الأربعين، وحرمت من نعمة الإنجاب ودفعها حبها للأطفال إلى تبني طفل وتربيته ليصبح ابنا لها.

الفنانة لبلبة رفضت الزواج بعد انفصالها عن الفنان حسن يوسف، ورغم الطلاق المبكر فلم تتزوج وتفرغت للفن ولم يكتب لها الإنجاب.

فردوس محمد

لبلبة

ليلى علوي

يسرا